ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

مكانة الصورة التعليمية كنسق معرفي في العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية

The Place of Educational Picture as a Cognitive System in the Educational Process in Primary School

د. حيدور مريم أسية

جامعة وهران 1 –أحمد بن بلة- (وهران/ الجزائر)، الإيميل: haidourmeriemassia@gmail.com

تاريخ الإستلام: 03/ 08/ 2022 **تاريخ القبول**: 15/ 02/ 2023 **تاريخ النشر**: 18/ 02/ 2023

ملخص:

تعبّر الصورة، كأحد الوسائل التعليمية، عن سيميولوجيا التواصل بين المعلّم والتلميذ، الذي من الصعب إفهامه اللغة نظرا للنضج العقلي والتصوّري، حيث أنه لن يصبح قادرا على تصور الأشياء المجرّدة، وتكمن أهمية الصورة التعليمية في مساعدة المعلّم على توصيل الخبرات وإنجاح العملية التعليمية، كما تُعينُه على توصيل الفهم والأفكار والمعرفة إلى ذهن الطفل.

تهتم الأنظمة التعليمية بتقديم فرص متكافئة أمام جميع الأطفال للنمو عبر أساليب متنوّعة لمواجهة الأشكال المختلفة من الصعوبات اللغوية والمعرفية. يستخدم المعلّم الصورة التعليمية كوسيلة لتبسيط مستوى إدراك الطفل وتصوّره من السّهل إلى الصعب، باعتماده على المشاهدة البصرية، فلا يمكن للطفل أن يتصوّر الأشياء دون أن تكون هناك وسيلة ملموسة تقرّب إليه الفهم.

الكلمات المفتاحية: الصورة؛ العملية التعليمية؛ المعرفة؛ الطفل؛ الوسائل التعليمية.

***

Abstract:

The Picture, as one of the educational tools, expresses the semiological contact between the teacher and the learner. It is difficult to make a pupil understand due to mental and conceptual maturity as he will not be able to visualize abstract things. The importance of the educational picture lies at aiming the teacher to convey experiences and to succeed the educational process. It helps him to transmit the meaning and ideas and knowledge to the brain of the child.

Educational systems are interested in providing equal opportunities for development through a variety of methods to face different forms of linguistic and cognitive difficulties. The teacher uses the educational picture as a tool to ease the child's level of cognition and perception from easy to difficult, through relying on visual viewing. The child cannot imagine things without a tangible tool that makes him closer to understanding.

Keywords: Picture; Educational Process; Knowledge; Child; Educational Tools.

I. مقدمة

تبدأ الممارسة التعليمية البيداغوجية من الطفولة في سنّ الخامسة أو السادسة، حيث يبدأ في الطفل في أولى مراحله في تعلّم اللغة العربية بأشكالها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وأنظمتها عبر عدة وسائل تعليمية، غير لغته المكتسبة من الأسرة والمجتمع في السنوات الخمس الأولى. كما يتعلّم الطّفل في المدرسة الابتدائية كيف يوحّد أفكاره وإدراك المعاني والتفاعل مع الأطفال الآخرين. تتجسّد أهمية البحث في التعريف بمكانة الصورة في ذهن الطفل ودورها في إكساب الطفل اللغة السليمة، يحاول من خلالها كيفية تركيبها وكتابتها بالشكل الصحيح، وهي تصوّر عقلي له مدلولات ومضامين تعليمية. هل تساعد الصورة التعليمية في تنمية الرصيد اللغوي للطفل؟ وكيف تساعد المعلّم على تحقيق الهدف التعليمي؟

تؤدّي الملاحظة البصرية الصورية دورها في عملية التعلّم، أين يقوم المعلّم بعرض الصور التعليمية واستقرائها، وينحصر دور الطفل على المشاهدة والملاحظة، ويبدأ في اكتساب صورة ذهنية حول الموضوع المطروح، وتدريبه على المهارات اللغوية والتعليمية، وأن يغرس القيم في نفسه وتوضيح المعاني وشرح الأفكار.

يتّسم هذا البحث بمنهج وصفي تحليلي، حيث يصف الصورة التعليمية ويشرح أهمية توظيفها في العملية التعليمية، وما يمكن تحقيقه من خلالها كنسق معرفي، بالإضافة إلى تحليل كيفية العمل بها خلال الدرس.

أولا: ماهية الصورة التعليمية

تعدّ الصورة من الوسائل التعليمية المستعملة حديثا في بناء الدرس؛ إذ تقدمّ فائدة كبيرة للطفل لتحسين تعليمه وزيادة تفاعله في القسم وحثّه على البحث وحب الاستطلاع وزيادة دافعيته في التعليم،

تشكّل الصورة انعكاسا للأجسام والأشياء، تعبّر عن العديد من المواضيع التي تحاكي الواقع المعيش، تتّسم بالألوان والرسومات المختلفة مشحونة بالخيال الواسع، تعبّر كل صورة عن أحداث لها مسارات واتّجاهات مختلفة، تؤثّر في المتلقّي من حيث الأفكار والمشاعر، محاولةً في توصيل المحتوى الموجود داخلها.

تعدّ الصورة من الدراسات السيميائية التي تشكّل ظواهر تواصلية في طابع لساني، حيث تصف الوقائع بواسطتها، وما دامت هناك ظواهر دلالية أقل تحديدا من ظواهر التواصل البصري بمعناها الدقيق (التصوير، النحت، الرسم، الترميز العلامات الدالة على الإشارة، السينما أو التصوير الفوتوغرافي)، فإن ذلك سيسمح لسيميائيات التواصل البصري بأن تكون معبراً نحو التحديد السيميائي للأنساق الثقافية الأخرى" (أمبرتو إيكو، 2013).

بالحديث عن الوسائل التعليمية، تعمل الصورة التعليمية في المرحلة الابتدائية على وضع نشاطات، يجدر بالطفل أن يقوم بتطويرها؛ لترقى إلى التواصل التعليمي من خلال الشرح باستعمال اللغة العربية في عملية التعلّم.

تُستخدم الصورة التعليمية في المجال التربوي للتعبير عن مواضيع هادفة، تحمل في طياتها أشكال وألوان مختلفة من أجل الإيضاح وبناء الدرس التعليمي، و"أول تعريف تقريبا أطلق على الوسائل التعليمية هو (التعليم البصري) (Visual Education)... وأصحاب هذا التعريف يعنون به التعليم الذي يتم عن طريق البصر وقد ذهبوا في ذلك إلى أن العين تعتبر في رأيهم الوسيلة الرئيسية للتعلم... وأن الحاسة البصرية تمثل

نسبة عالية في التعلم تتراوح بين 80% و85% من حيث الكمية التي يتلقاها المتعلّم وبناء على ذلك تكون عملية التعلم عندهم انحصرت في حاسة واحدة هي حاسة البصر" (محمد وطاس، 1988). يستعمل المعلّم الصورة الديداكتيكية الموجودة في الكتاب المدرسي في المرحلة الابتدائية؛ للتعبير عن المعلومات الموجودة فيه دون أن يلجأ إلى وسائل أخرى.

تأخذ الصورة التعليمية بعين الاعتبار الاتّصال الفعّال بين المرسل والمتلقي وهما المعلّم والتلميذ، بغرض الحصول على الكفاءة التواصلية، بحيث تُستغلّ في التعليم عن طريق الورق أو التصوير من مناظر طبيعية وأشخاص وخلفيات متعدّدة في الكتب أو تعليقها في السبورة كلوحات، لها مكوّنات تعليمية هادفة وبنّاءة.

تشمل الصورة التعليمية جميع الصور، والتي يحاول المعلم استعمالها من أجل تقريب المفاهيم المجرّدة إلى ذهن التلميذ، لضمان فهمه واستيعابه للمعطيات، "والصورة إذ توحّد بين حقيقتين متباعدتين في المكان لم تلتقيا قط إنما تصبح خلقا جديدا معبّرة عن عالم جديد. وإذ تنفي شكل الأشياء الظاهري وتركّز على صفاتها ورموزها إنما تعيد الوحدة والانسجام لهذا الكون المشتّت المتناقض والمتباعد، وتبقي للخيال تلك القدرة الصافية وذلك الفعل الكيميائي الذي يصهر الأشياء ويوحّدها" (كلود عبيد، 2010). يناقش المعلّم هاته المعطيات مع تلامذته ويوضّحها، ويسهّل عملية الشرح لإيصال المعلومات وتحقيق الهدف التعليمي.

استثمرت الصورة التعليمية في المجال التعليمي التربوي في المرحلة الابتدائية؛ لقدرتها على التأثير على الطفل وإنتاجيته، لما تحمله من معنى ظاهري ومعنى باطني، فما يحاول الطفل رؤيته هو المعنى الظاهري فقط، "بيد أن هذه الصور لا تُقَدَّم إلينا في الوسائط البصرية الحديثة صامتةً، بل هي معجونة بالأصوات اللغوية والموسيقية، تتداخل معها وتكيف معناها وتصبغ رؤيتنا لها وإدراكنا لدلالاتها" (صلاح فضل، 1997).

فمع تطور التكنولوجيا اليوم، أصبحت الصورة المبرمجة كنظام ثقافي جديد محطّ أنظار الطفل، يبحث عنها في التلفاز والقنوات وشبكات الاتّصال، كما يمكن إثبات أن "الصورة وسيلة اتصالية من خلال المرحلة البدائية للإنسانية، أين كانت الصورة هي وسيلة الإنسان للتعبير عن حاجاته البيولوجية والإنسانية لأجل التواصل" (قدور عبد الله ثاني، 2004).

تجعل الصورة التعليمية الطفل أكثر استعدادا لاستقبال وتقبّل المادة المعرفية مهما كانت، خاصة الموجودة في الكتاب المدرسي المشبّع بالرسومات والألوان. إن الصورة هي "الهيئة التي يكون عليها الشيء أو شكله، على أن هيئة الشيء أو شكله تتم معرفته عن طريق حاسة البصر، كما هو الحال في الرؤية المباشرة للشيء، أو عن طريق شاشة العرض كما هو الحال في التلفزيون، وعلى ذلك فإن الصورة التي نراها على شاشة التلفزيون هي هيئة الشيء أو شكله" (عبيدة صبطي، 2009) ، فحتى وإن كانت الصور عبارة عن أشكال ملوّنة، فهي تجذب الطفل إلى معرفتها والتعامل معها وكتابتها، ففي نظره هو يرسم لا يكتب، وهذه الطريقة تجعله متحمّسا أكثر من أجل المزيد.

تتنوّع الصورة التعليمية في المرحلة الابتدائية من فصل لآخر، وتحتفي بعوالم تربوية قيمية سامية، تأخذ الطفل إلى عالم الواقع الذي لا يعرف عنه شيئا.

1 - أهمية الصورة في تعليمية اللغة العربية:

تجدّد الصورة التعليمية النشاط الذهني للتلميذ، وتقدّم له فرصة التأمّل وقراءة الصور وقدرته على تأويلها انطلاقا من الرؤية وربط المعارف، فهم العلاقات بين الأشياء، وبناء مفاهيم جديدة مراعية لقدرات المتعلّم على تحليل المشاهد على اختلاف أحجامها وأبعادها وأشكالها.

تتميّز الصورة بأنها العامل المشترك لكل الوسائل التعليمية الموجودة في أساليب العرض، ويستطيع الكلّ رؤيتها في آن واحد داخل الصف، حيث تكون محور الحديث بين المعلّم وتلامذته، "ومن أجل أن يحسّن المعلّم من أدائه، عليه أن يفهم مهمّته اليومية ومهمته السنوية لأن عمله لا يتوقف على تقديم المعارف والمعلومات المقرّرة أو المنهجية عليهم، بل إن عمله ومهمته تمتدّان إلى بناء شخصيات تلاميذه" (فؤاد حسن أبو الهيجاء، 2007) ، وتسهم هذه المعارف الصورية في تعارف المتعلّمين أكثر وزيادة صلة القرابة وأواصر المحبّة والألفة بينهم، فعندما يتعلّم الطفل شيئا تثير لديه الرغبة والفضول في رؤية الشيء الذي يتعلّمه ومعرفته أكثر.

ابتعدت المنظومة الجزائرية عن استعمال الوسائل الحديثة التي تشدّ انتباه التلاميذ، إلا أنه "من المفيد جدّا أن نشير إلى أن دمج التقنيات في التدريس يؤدي إلى جذب انتباه المتعلمين نحو الدرس، وكسر شوكة الملل من الحصة، لأن الوسائل تضفي نوعا من الجاذبية للمتعلمين، وأهمها الوسائل السمعية البصرية في العصر الحديث، لما تتّصف به من خصائص تشويقية وفنية في عالم تؤدي فيه الصورة دورا فاعلا ومؤثرا في النفوس، ونظرا لما يوظّفه من الحواس البشرية في الإنسان، ولما تعرضه من الأدوات والمواد التي تعتمد على حاسّتَيْ السمع والبصر معا" (عبد المجيد عيساني، 2020).

كما تؤدي الصورة دلالة كوسيلة للتعبير عن المحتوى، حيث "إن الوسائل وتوظيفها لا يُعدّ ديكورا زائدا قد يكون ثابتا داخل حجرة الدراسة، بل ينبغي أن يكون عنصرا من عناصر الدرس، يتغيّر حسب ما تتطلّبه أهداف الدرس ومراحله ومقتضيات الطرائق البيداغوجية المتبعة وحتى سلوكات المدرّس وتلامذته" (محمد شارف، 1998).

تعطي الصورة الشكل الجديد للنص وتزيده جمالا ومعنى جديد، ويمكن توظيفها في أي سياق تعليمي كونها واسعة المعالم والأفكار، لها أوجه علمية ونفسية وجمالية وثقافية، وإبلاغية وإعلامية.

2 - أصناف الصورة التعليمية في العملية التعليمية للغة العربية:

تتكوّن الصورة من الأصناف التالية:

2-1 السبورة:

تحتفي السبورة كوسيلة تعليمية بالأهمية البالغة في العملية التعليمية في المرحة الابتدائية، حيث يستعملها المدرّس في حصصه الدراسية، كما أنها "أول وسيلة اعتمد عليها في التعليم بمختلف مراحله منذ أن أُسّست المدارس، وظهر نظام الفصول وحجرات الدراسة في العالم، وتكاد لا تخلو مدرسة من المدارس من هذه

الوسيلة القديمة والتي لا زالت تُستعمل وستظل في المجال التعليمي نظرا لدورها الكبير ولقلة تكاليفها وسهولة الحصول عليها" (محمد وطاس، 1988).

تُستخدم السبورة في تقديم الدرس وشرحه والقيام بالأنشطة وكتابة النصوص، كما تُعلَّق عليها العديد من الصور والرسومات ذات الخرائط الصماء واللوحات الكرتونية الملوّنة والمخطوطات العربية، لتعليم الطفل كيفية كتابة الخط وأشكال الحروف باللغة العربية بألوان ملفتة للنظر.

2 2 اللوحة الإخبارية والخرائط:

تُعرض هذه اللوحات على السبورة على شكل صور ورسومات، توضّح مفاهيم معيّنة وترسيخها في ذهن المتلقي، كما تُعرض عليها مختلف الأنشطة والأعمال المدرسية والأحداث الوطنية والعالمية، نظرا لتقديم محتوى بسيط، فهي تؤدّي مهمة تعليمية تُستغلّ في تعلّم اللغة العربية كوسيلة تعليمية؛ إذ "تعتبر الخرائط من الوسائل التعليمية واسعة الانتشار في مجال التعليم البصري، فهي تساعد المعلّم على توضيح المفاهيم والحقائق المتّصلة بموضوعات الدراسة في مواد الجغرافيا، والتاريخ، والجيولوجيا" (عبد المحسن بن عبد العزيز أبا نمي، 1993) ، كما تعين التلميذ على تحديد الوجهات والأماكن. تكمن فائدة اللوحات في أنها تساعد المعلّم على تبسيط المعلومات والتدريب على العمل اليدوي عبر الأنشطة التعليمية.

2 3 الكتاب المدرسي:

تظهر الصور التعليمية في الكتاب المدرسي إلى جانب النصوص اللغوية، باعتباره مصدر للمنظومة التربوية، حيث أنه ما زال يحافظ على مكانته الجوهرية وسط الزخم الهائل من التغيّرات التكنولوجية الهائلة، وترد له مطبوعات، يقبل عليها أغلبية القرّاء كونه الأساس في تنمية شخصية الفرد، وهو الوثيقة الوزارية للبرنامج الرسمي لوزارة التربية الوطنية، يقوم بعرض محتويات منتظمة تتناسب مع مستوى الطفل واستنباطه للمعاني، حيث يقوم المعلم بعرض الصور على التلاميذ "وذلك بتمريرها عليهم وهم في أماكنهم. وقد تكون الصورة موجودة في الكتاب المدرسي وبذلك يسهل على التلاميذ عملية الرجوع إليها وتفحّصها بتوجيهات من المدرّس" (عبد المحسن بن عبد العزيز أبا نمي ، 1993) ، كما يذهب المعلّم إلى استخدام صور ذات حجم كبير لكي يتسنى للتلاميذ رؤيتها بوضوح وأمّلها.

تعتبر هذه الوسائل من الأصناف الثابتة، تستخدم في جميع مراحل التعليم الابتدائي، تتجلى فاعليتها في التدريس من حيث جودة المحتوى وتنظيمه. فبالإضافة إلى هاته الأصناف هناك أصناف أخرى تتمثل في الأفلام الثابتة، الشرائح الشفافة، الصور المجسّمة، الصور الفوتوغرافية، والصور الواقعية التي يراها الطفل يوميا.

أما الأصناف المتحرّكة فيمكن حصرها كالتالي:

2 4 التلفزيون:

هو جهاز تثقيفي، ترفيهي، وتعليمي في الوقت نفسه، وهو جهاز سمعي بصري يجمع بين الصوت والصورة له إمكانيات متعدّدة، فالتلفزيون التعليمي له فوائد تعليمية تؤثّر على سلوك الطفل عبر عروض وحالات تكسبه اللغة؛ إذ ينقلها ويقلّدها كما هي، فتثري الحصيلة الفكرية لديه وتعوّده على المطالعة، إلا أن هذا النوع من الوسائل غير موجود في المنظومة التربوية الجزائرية على عكس الدول المتطوّرة.

2 5 الأفلام:

يتميّز الفيلم في عرضه بالتداخل البصري والسمعي للتأثير على المتلقي أو المشاهد مع تشكيلات بصرية للواقع المعيش، ويتّم ذلك بالتخيّل والتصور، حيث "إن الأعمال الموجّهة للطفل لها وسط تعبيري يعتمد الصورة في إيصال الأفكار والمشاعر والقدرة على تجسيد الواقع وإيصال المفاهيم التربوية من خلال قدرتها الفنية والتقنية، لذلك تعتبر من أهم الوسائل المرئية في التربية" (عمار إبراهيم الياسري ، 2017) ، حيث أنها تخاطب العقل والعاطفة الإنسانية لتهيئة المشاهد، بالاعتماد على حاسّتي السمع والبصر مع إبراز العديد من الشخصيات والبيئات (الجو العام).

فبالإضافة إلى هاتين العنصرين، هناك أيضا أصناف أخرى كالعروض الإشهارية، الفيديوهات الموجودة على الهاتف أو الكمبيوتر، والسينما وغيرها من الوسائل الإلكترونية الجديدة، بحيث "تشمل الصور الثابتة جميع أنواع الصور التي تعرض ضوئيا عن طريق أجهزة العرض مثل الشرائح، والشفافيات والأفلام الثابتة. ويدخل في نطاق الصور الثابتة كذلك تلك الصور التي تعرض بدون استخدام أجهزة العرض مثل الصور الفوتوغرافية والمصورات والخرائط. وتستخدم الصور على نطاق واسع في تدريس المواد الاجتماعية والعلوم، والمواد العلمية" (عبد المحسن بن عبد العزيز أبا نمي، 1993).

فاللغة السينمائية مكوّنة أساسا من صور يعاد إنتاجها من الواقع بتجسيد نوع القصص الدرامية وغيرها مستوحاة من الواقع.

2 6 الرحلات التعليمية:

يحب الطفل اكتشاف أماكن جديدة ومشاهدتها، و"تعتبر الرحلات التعليمية تلك الجولات والزيارات الميدانية التي تقوم بها جماعة من الدارسين في مختلف المراحل التعليمية أو غيرهم في مؤسسة من المؤسسات أو هيئة من الهيئات إلى مكان معين بين أحضان الطبيعة، أو إلى مصنع من المصانع، أو إلى مزرعة أو إلى إحدى المشاريع الوطنية الهامة، وذلك بغية مشاهدة الواقع في عين المكان للدراسة العلمية أو التعليمية أو الاجتماعية، وقد تكون لهدف ترفيهي يرفه فيها الإنسان عن نفسه ويدرأ عنها عبء الحياة ومتاعب الزمن ومتناقضات الحياة الاجتماعية المعاصرة" (محمد وطاس، 1988).

تعزّز الرحلات التعليمية الثقة أكثر في نفوس التلاميذ، وهم بطبعهم يحبون الحركة والتجوال، حيث تشجّعهم على اكتساب المعرفة والملاحظة والاستفسار، وتوفير الخبرة الواقعية الملموسة، لاتّصالهم المباشر بالأماكن الطبيعية، فالمنتزهات والغابات والحدائق محبّذة لديهم.

للصور فوائد تعليمية في مجال التعليم البصري، لتوضيح مواضيع الدراسة، وسهولة الحصول على مصادر متنوّعة وسهولة استعمالها وقلة تكلفتها.

ثانيا: وظائف الصورة التعليمية في تنمية اللغة العربية:

تعتبر الصورة أداة هامة في مجال الاتصال والتواصل بين مختلف الأفراد وحتى الشعوب، فهي وسيلة متعددة الأغراض تمكن الإنسان من نقل الأفكار وترجمتها بما يسمح له بفهم مختلف الظواهر المحيطة به.

إن للصورة التعليمية العديد من الأدوار والوظائف التي تسهم في تنمية اللغة العربية يمكن ذكرها كما يلي:

1 - الوظيفة التواصلية للصورة التعليمية:

تعد وظيفة الاتصال التواصل أداة لنقل المعلومات من خلال التعبير، الإعلام والإقناع، وهذه العملية في حد ذاتها لديها أساليب متعددة ومختلفة فهناك الاتصال اللفظي، الاتصال السمعي، الاتصال المرئي...الخ.

وبهذا فإن الصورة تشكل شكل من أشكال التواصل المرئي، وهي من بين أهم قنوات التواصل كونها وسيلة سهلة وسريعة لنقل الأفكار والمعلومات عن طريق القناة البصرية، "وهو ما يعني تحوّل الصورة الدائم بين التشابه والأثر والاصطلاح، أي بين الأيقونة والقرينة والرمز، مما يجعل التواصل عبر الصورة، أمرا شديد التعقيد، وأيضا قوي التأثير، بحكم تغلغلها في ثنايا حياته اليومية، لكثرة ما تستخدمها وسائل الإعلام، وتعقب عليها، وتستند إليها، أو ترفضها" (نهلة عيسى، 2020).

فسرعة الاستيعاب من خلال ملاحظة المشاهد سواء كانت صورا، أو حركات الجسم، إشارات، أو تعبيرات الوجه...، تكون عالية مقارنة بالأنواع الأخرى من وسائل التواصل.

فالعقل يقوم مباشرة بترجمة الصورة وإعطاء جميع الخصائص المتعلقة بها وفهمها وإدراكها دون اللجوء إلى أساليب أخرى، وبالتالي فالصورة أداة تواصلية مباشرة، فهم رموزها ومعانيها يتم بطريقة جد سريعة عكس اللغة مثلا التي تشكل هي الأخرى أسلوب من أساليب التواصل لكنها تأخذ وقتا أطول للتحليل والاستيعاب للخروج بالنتائج التي من الممكن أن تختصرها صورة تكون معبرة عن كل ذلك.

إن أهمية الصورة كوظيفة للتواصل فرضها واقعنا اليوم أكثر من أي وقت مضى، ولعلّ انتشار التكنولوجيا اليوم لخير دليل على ذلك، حيث أصبح الإنسان اليوم يعتمد على نشر واستقبال المعلومة عن طريق رؤية الصور ومشاركتها مع غيره دون وجود لأي حواجز زمنية أو مكانية، وهذا ما يفسر كثرة إقبال الناس اليوم علة مختلف منصات التواصل.

2 - الوظيفة التربوية للصورة التعليمية:

عرفت الوسائل التعليمية عدة صور وأوجه في ميدان التعليم كآليات لتلقين مختلف العلوم، ولعلّ الوسائل التعليمية البصرية من بين أهم الطرق الفعّالة في عمليتي التعلّم والتعليم، فالصورة أداة ملفتة للانتباه وأساسية في عملية التركيز، "وتتمثّل في نقل المعلومات والخبرات وأفكار إلى الآخرين، بهدف تنويرهم ورفع مستواهم العلمي والمعرفي والفكري، وتكييف مواقفهم إزاء الأحداق والظروف الاجتماعية، وتحقيق تجاوبهم مع الاتّجاهات الجديدة، وإكسابهم المهارات المطلوبة التي تساعدهم في حياتهم الشخصية والوظيفية" (علي سامي الحلاق، 2010) ، يستعملها الملقي للتأثير على المتلقي حتى يضمن استيعاب وفهم أكبر للمادة العلمية المقدمة له كونها تختصر الكثير من الجهد، على عكس الإلقاء وحده أو تقديم النصوص دون أي صورة توضيحية أو تفسيرية تعبر عما يدور في النص والتي تترك مجال للغموض وعدم الفهم لدى المتلقي.

نجد لدى تلاميذ المراحل الأولى من الدراسة أن أغلب محتويات كتبهم إضافة إلى النصوص نجدها تحمل صورا عديدة تجسد البرنامج الذي يتلقاه التلاميذ خلال مرحلة تعلّمهم، ما يجعلهم أكثر قابلية

للاستيعاب والانتباه، وهذا يسهم في دعم عملية تخزين المعلومة لمدة أطول، فغالبا ما نجد النصوص في كتب المرحلة الابتدائية مرفقة بصور تختصر على التلميذ فهم ما يتحدث عنه النص، وهذه الوسيلة الفعّالة تساعدهم برهنة قدرتها على جعل التلميذ يتمكن من النصوص من خلال فهمها وتشكيل صورة واضحة عما يريد النص إيصاله.

إن اليوم ومع ظهور موجة التطور والتقدم في مختلف المجالات والميادين، وظهور التكنولوجيا ووسائل التواصل التي أصبحت متاحة اليوم للجميع ولمختلف الفئات أصبح الصورة سواء كانت ثابتة أمتحركة على شكل فيديو تؤدّي دورا مهما في العمليات التواصلية والتعلميّة ما بين الشعوب في مختلف بقاع العالم، فالصورة هي روح النص التي تعمل على إيصال المعلومة بطريقة مبسطة وسهلة، فالإنسان غالبا ما يتذكر الأشياء المصورة التي يراها، وينسى ما قد سمعه أو قرأه من نصوص

وبالتالي فالصورة في الوظيفة التربوية قدّمت جانب مهم من خلال الشرح والتفسير، والتوضيح ورفع للغموض عن الكثير من الظواهر التي لا يمكن أن تُفهم دون الحاجة لرؤيتها بالعين.

3 - وظيفة الصورة في النص التربوي:

غالبا ما نصادف نصوصا بسطورها الطويلة لا نستطيع فهمها أو فهم ما تريد إيصاله للقارئ، لذلك كانت الحاجة إلى وجود الصورة إلى جانب النصوص التربوية اليوم غاية في الأهمية لما لها من آثار إيجابية على سرعة فهم القارئ واستيعابه للنص، "فالمتعلّم الذي لديه مفهوم ذات لغوية مرتفع يكون نشطا وإيجابيا، يشارك في اختيار الموضوع أو المشكلات التي يتحدّث عنها، ثم يفكّر فيها ويستخدم أفكاره الجديدة وخبراته الخاصة في التعبير عنها، كما يمكنه ابتكار قصص ويقوم بروايتها، ويطرح مشكلات ويبحث عن حلول بديلة" (2014).

فالنص المرفق بالصورة التي تمثله أو تجسد محتواه في أهم جزئياته إن لم نقل كلها، وتكون كفيلة بضمان الشرح الوافي للقارئ وتثبيت المعلومة لديه لفترة طويلة من الزمن، وهنا تكون وظيفة الصورة إمّا تفسيرية تفسّر وتشرح مضمون النص، وإما صورة تكميلية لما جاء به مضمون النص يكون الهدف والغرض منها دوما إرشاد وتوجيه المتلقي نحو الفهم الصحيح والسليم لما هو مقصود من النص وفهم معانيه.

إضافة إلى الوظيفة الجوهرية للصورة في النص التروي والمتمثلة كما أشرنا في شرح وتفسير النص، فإنها تشكل أيضا وسيلة فعّالة لجعل القراءة بها نوع من المتعة والحماس لاستكشاف النص، "إن إدراك التربويين إلى أهمية الحواس في عملية التعلّم تجعلهم يهتمون بشكل كبير لاستخدام الوسائل التعليمية في التعليم؛ لأنه يتم عن طريق هذه الحواس، وبدلا من أن يتعلّم الفرد من خبراته الشخصية أو مشاهدة الآخرين الذين كانوا يقومون بإيصال وتقديم الخبرات لهم عن طريق الشرح" (ردينة عثمان يوسف، 2005)، خصوصا إذا كانت الصورة ترمز إلى عنصر به غموض أو تشويق تعطي للقارئ إثارة للبحث عن معناها وفحواها، وبهذا تكون هناك قابلية أكبر للتّعلم بمتعة أعلى، وتكون القراءة دون ملل مع استشعار كامل لثنايا النصوص.

وبذلك فالنص الذي لا يكون مرفقا بصورة تعطي له جاذبية ومتعة للإقبال عليه يكون نصّا جامدا لا روح فيه ويكون الاستنفار منه كبير خصوصا للفئة المتعلمة في المراحل الأولى، فالصورة تمنح إقبال أكبر للقرّاء لقراءة النص، وإن استعمالها اليوم في مختلف المجالات التعليمية كدور أساسي للفهم والاستيعاب

لدى مختلف الأفراد أصبح ضرورة ومطلبا أساسي في سبيل تنمية اللغة العربية، بما يضمن لها الارتقاء خصوصا في عالم اليوم الذي تميّز وبكثرة في وجود التكنولوجيا وسرعة انتقال العلم والمعلومة في مختلف بقاع العالم في ظرف زمني وجيز.

ثالثا: الصورة التشكيلية كلغة تواصل بين الطفل والمعلم

يعتبر التلميذ في المرحلة الابتدائية مكتشف للمعلومة ومستقبلا لها، حيث يعتمد في هذه المرحلة بشكل كبير على المعلّم في تلقينه للمادة العلمية له.

للصورة التشكيلية أهمية بالغة في تنمية الكفاءة التواصلية للتلميذ مع معلّمه وأقرانه والمحيط الذي يعيش فيه، حيث يستعمل المعلّم الصورة في هذه الحالة كأداة تدعيمية وتواصلية لشرح المادة العلمية وإيصالها بشكل مبسط ومفهوم بما يتناسب ومستوى استيعاب تلاميذه؛ "إذ يستدعي التواصل التربوي اللفظي قيام علاقة ثنائية أو جماعية. والتعلّم الناجح هو المبني على التفاعل والتبادل. ولذلك، لا يمكن أن نتصور عملية تعليمية تعلّمية ناجحة ليس فيها تواصل وتفاعل" (جميل حمداوي، 2015).

للتواصل اللغوي السليم بين الطفل والمعلم لابد على المعلّم أن ينشئ بيئة تواصل محفزة ومشجعة للطفل ليبادر هو الآخر في تقديم أفكاره حول موضوع الدرس، كما يجب خلق جو مناسب لإعطاء الطفل القدرة على تفسير وقراءة ما يراه أمامه من صور أو رسومات بشكل جيد وإبداء رأيه حولها في جو مريح.

أحيانا نجد أن الصورة لا ترقى لمستوى فهم واستيعاب التلميذ، وهذا يعد من بين العراقيل التي قد يتلقاها المعلّم والتلميذ معا، فالصورة التشكيلية هنا لا تؤدي الغرض الذي وجدت من أجله، وربما تضيف غموض أكبر للطفل بحيث لا يستطيع فهم ما تريد الصورة إيصاله له، وهذا يستدعي تدخل المعلّم وبذل جهد أكبر لإيصال المعلومة لتلاميذه بشكل مبسط والتي لم تستطع الصورة توضيحها لهم.

فالصورة لابد وأن تكون خالية من الغموض حتى لا يجد التلميذ صعوبة في فهمها، فيجب للصورة التشكيلية أن تكون بسيطة في عناصرها، سهلة وفي متناول الطفل، فالغاية من الصورة ليست في الصورة بحد ذاتها بل فيما تعطيه من دروس تعليمية وتربوية للتلميذ في مرحلته الدراسية، فهي صورة تدعيمية للبرنامج البيداغوجي المقرر، ولكن أحيانا تكون الصور خادعة للنظر، حيث أن الخدع البصرية "هي رؤية الأشكال الهندسية والصورة المنوعة بشكل غير واقعي وغير حقيقي أو بصورة أخرى، وذلك بناء على الفرق بين الأشكال والحجم الحقيقي والشكل والحجم الافتراضي أو النسبي" (جمال القاسم وآخرون، 2001)، وذلك لأن الصورة لها أبعاد بصرية.

كثيرا ما نجد في الكتب المدرسية للتلاميذ خصوصا المراحل الأولى من المرحلة الابتدائية تحتوي على عدد محدود من الأسطر، وهذا يجعل الموضوع مبهما أو غير مكتمل، وهنا تبرز مكانة وأهمية الصورة التي يكون دورها مكملا ومعبرا عن الأجزاء المهمة للنص، وعليه ففي هذه المرحلة بالذات يكمن دور المعلم في إحداث التكامل بين النص والصورة بما يضمن إيصال المعلومة والدرس بشكل صحيح لتلاميذه.

يلجأ المعلّم في الكثير من الأحيان لجعل الصورة أداة ووسيلة يدفع بها تلاميذه نحو البحث عن الخلفيات والمعاني التي تحملها الصورة، وهذا لدفعهم نحو الاستكشاف والتساؤل بشكل مستمر عما تحمله

الصورة في طياتها، وهذا يمنحه تشبعا لغويا وفكريا كبيرين في مسيرته التّعلّمية، وهنا تتحقق أهمية وفاعلية الصورة في الكتاب المدرسي وتكون لها الأثر الإيجابي في إكساب التلميذ المهارات اللازمة للتعبير والتواصل.

تحمل الصورة التشكيلية بالكتاب المدرسي الكثير من المعاني والدلالات التي تكون واضحة للتلميذ في بعض الأحيان وغير مفهومة له في أحيان أخرى، ولهذا يبرز دور المعلم كوسيلة هامة لرفع الغموض ووضوح الرؤية لتلاميذه حول الموضوع المدروس، وهذا من خلال فتح المجال لهم على التحدث، وحثهم على مشاركة آرائهم وأفكارهم بهدف تدريبهم على استخدام المصطلحات والمفردات التي قد تحتويها هذه الصورة التشكيلية بما يضمن الوصول إلى القراءة الصحيحة لها وفهم حيثيات الدرس بمشاركة جميع التلاميذ.

هذا ما يعزز لديهم حب التعلّم ومشاركة أفكارهم، وبالتالي سيتكون لدى التلاميذ رصيد معرفي كبير يحسن من المستوى اللغوي لديهم، إضافة إلى كسر حواجز الخوف من التحدث أمام الزملاء، فالصورة التعليمية تسهل عملية الإدراك وإنتاج الأفكار بغزارة لدى التلاميذ.

ومن الممكن أيضا أن يستخدم المعلم الصورة التشكيلية كأداة لتجاوز الفروقات الفردية بين المتعلمين داخل القسم، والتي تشكل مشكلا عويصا في عمليتي التعلّم والتعليم، فالصورة تفتح المجال لجميع التلاميذ بالتحدث عما يدور في مخيلاتهم، "والتربية اليوم، مطالبة بتجديد نفسها، وباستمرار لتواجه مشكلات هذا العصر السريع التغيّر في مختلف مجالات الحياة، وذلك بابتكار واستخدام صيغ وأساليب ومحتويات تربوية جديدة" (مريم الخالدي، 2008).

ولهذا على المعلم هنا بالذات أن يعمل على خلق جو لهذه الفئة على إبداء رأيها والقضاء على مشكلة الخجل والخوف داخل القسم، وهذا من خلال العمل على تنويع أساليب التعلّم والتلقين حتى يستطيع جميع التلاميذ فهم الدرس، خصوصا إذا كان المضمون العام للنص مبهم أو غير مكتمل، وتكون الصورة الأداة الوحيدة لاجتياز هذه العقبة، فيعمل المعلم على تقديم إيحاءات تفسيرية ويحفز جميع التلاميذ على التواصل وإبداء آرائهم والاستماع لهم، وخلق جو من الحوار والمنافسة داخل القسم بما يساعدهم على تخطي عنصر الخجل وعدم الفهم، والحث على التعبير بكل ثقة بعيدا عن الخوف.

وبالتالي فالصورة التشكيلية أو التعليمية هي إستراتيجية فعّالة لتحفيز المتعلم على لغة التواصل والفهم أكثر، والعمل على الإنتاج بشكل أسهل. لقد فرض التطوّر العلمي نفسه على العالم كلّه، مما أجبر مجتمعاتنا على التعامل معها عبر الشابكة الإلكترونية التي لم تعرف حدودا للتقدّم.

لقد أسهمت الصورة التشكيلية في فرض نفسها عبر الأنترنت في المعالجة اللغوية للغة العربية عن طريق الحاسوب على جميع الأصعدة، استنادا إلى الكتب والمجلات والصحف التي ساعدت وسهّلت التعامل مع البرامج الإلكترونية وبنائها، فهي تعتبر الأساس الذي ينطلق منه العربي في نقل بياناته ومصطلحاته لتيسير تعميم العلم لفائدة المجتمع وملامسة المتصفّح العربي للتقنيات واستغلال البحث باللغة العربية.

كما لا يمكن أن يعقل أن الصورة التشكيلية لا تستطيع التواصل مع الآخر؛ و"تشير إلى قدرة الفرد على تحليل أشكال الحديث، والتخاطب من خلال فهم بنية الكلام، وإدراك العلاقة بين عناصره وطرق التعبير عن المعنى، وعلاقة هذا بالنص ككل" (رشدي أحمد طعيمة، 2004)؛ ولأنها بحاجة إليه في ظل المصالح الاجتماعية من أكل وملبس ومستلزمات صحية ومعرفية وأغراض أخرى، وبهذا تنشأ وتترعرع الصورة، وهي

تأثير واحتكاك قابل للتغيير في التعبير عمّا تريده الصورة ويحتاجه المتعلم وسط الأسرة التربوية وربط تفكيره باللغة.

تمثل الصورة التشكيلية أهداف تدعّم اللغة والمعرفة وتنمية الذائقة الجمالية من خلال الوسائل البيداغوجية التعليمية، كما أنها تسهم في إثراء الحركة الثقافية، وتضيف إليها رصيدا مميّزا وفضاء جديدا للمعرفة والحياة.

إن المناهج الموضوعة في إطار التعليم تسلّط الضوء على أساسيات تعليم اللغة العربية متناسية مستوى المعلّم والطالب ومستواهم، إذ لم تعد المدرسة اليوم مكان للتعليم فقط؛ بل أصبحت بيئة تربوية تركّز على تربية الطفل عقلا وجسدا وعاطفة، وحل الخلافات الموجودة بينهم، وتبرز أهمية وضرورة إعادة النظر في المناهج الدراسية للصورة التشكيلية؛ لتصبح قادرة على احتواء مفاهيم اللغة العربية وتوظيفها في مختلف المواقف والدراسات والبحوث العلمية.

إن استعمال الصورة التشكيلية في الكتاب المدرسي المتداول يفتح المجال للتنوعات المختلفة للسان الواحد، فعندما تطغى الصورة على النص، فإنها تنتشر وتنمو معها مفرداتها اللغوية حتى وإن كان عبارة عن خليط من عناصر الاتّصال.

رابعا: دعم الصورة التعليمية الوضع اللغوي للطفل في المرحلة الابتدائية

إن الطفل هو اللبنة الأولى لتنمية وتطوير المجتمع، والأمل للوصول إلى مستقبل أفضل في مختلف المجالات والميادين، وبذلك يشكل الاهتمام والعناية بالطفل في مختلف تفاصيله في المراحل الأولى من حياته وخصوصا بالجوانب اللغوية أمر في غاية الأهميّة، "لأن الرعاية السليمة للطفولة تمثّل المستقبل المزهر لأي أمة ويتطلب ذلك ضرورة الاستجابة لاحتياجات الطفل الأساسية ويعتمد على التخطيط العلمي وتوفير الموارد البشرية والمادية اللازمة لتنشئة الطفل ورعايته في مراحل نموّه المختلفة" (محمد الصالح خرفي، 2014). واللغة هي أول ما يتلقاه الطفل في حياته التعليمية، وهي وسيلة تعلم وتواصل بين الطفل وعالمه الذي يعيش فيه، وبها يدرك ماهية الأشياء وحقائقها، ويتمكن من فهم الآخرين والتواصل معهم، وبالتالي يحافظ على توازنه وسيطرته على البيئة التي يعيش فيها.

1 - أهمية اللغة في حياة الطفل:

إضافة إلى الحاجات الفيزيولوجية التي يحتاجها الطفل في مرحلة نموه كالأكل، والشرب والنوم، فإنه أيضا بحاجة إلى النمو اللغوي، والذي يشكل مرحلة هامة في حياته، فتلقينه للجانب اللغوي يستطيع من خلاله أن يعبّر عن احتياجاته ورغباته ومشاعره ويوصل جميع أفكاره، فهي وسيلة يمكن من خلالها الطفل أن يتعلم مهارة الحوار والمناقشة، وبالتالي يكون مهيأ لمعرفة أساليب التعامل مع العالم الخارجي والبيئة التي يعيش بها.

للغة مكانة هامة لدى الطفل، فمن خلالها يستطيع المشاركة والانخراط في المجتمع، ويكتسب ثقافات وخبرات وتتطور قدراته الإدراكية والمعرفية، مما يسهم في تطوير حياته وانسجامه مع بيئته، وهي تسهم أيضا في تكوين شخصيته من خلال إدراكه لمختلف الظواهر من حوله والتعرف عليها وبالتالي الاقتناع بها، كل هذه التراكمات الحسية واللغوية والمعرفية تساعد على نمو الطفل عقليا وتشبعه بالمعرفة حول ما يدور من حوله.

وبهذا تتبيّن أهمية اللغة في حياة الطفل كونها الوسيلة الأولى لانسجامه مع المجتمع الذي ولد فيه، وأسلوب يضمن له فهم تفاصيل الحياة، وتكوين رؤية واضحة لجميع ما يدور من حوله وتفسير مختلف الأحداث التي قد تكون جديدة بالنسبة له.

2 - علاقة الصورة بتكوين لغة الطفل في المرحلة الابتدائية:

عملت الوزارة الوصيّة على المنظومة التربوية في إعداد البرامج التربوية للتلاميذ على إدراج الصور في الكتب المدرسية، "فالوسيط (الصحيفة أو المجلة) والكاتب والقارئ (الطفل) لا غنى لأي واحد منهم عن الآخر، والوسيط الجيّد هو الذي يستجيب لكل التغيّرات التي تحدث في المجتمع وتسعى لكسب القرّاء من الأطفال التي تتهافت عليهم وسائل أخرى" (محمد الصالح خرفي، 2014)، وذلك مراعاة للجانب النفسي من ناحية حب التلاميذ للألوان والصور، ومن الجانب العقلي لمساعدته على تذكر المعلومة أو المادة التعليمية بأسهل الطرق وتيسيرها أكثر للفهم، فالصورة تعمل على تقريب المعلومات للتلميذ، كما تجنبه الوقوع في الأخطاء.

إضافة إلى ذلك، فإن الصور في الكتاب المدرسي للمرحلة الابتدائية خصوصا تعمل على جذب انتباه واهتمام التلميذ نحو الدرس، وتشويقه لمعرفة المزيد وهذا يعزز لديه حب التّعلّم بدون أن يشعر بالملل من المادة العلمية المقدمة له، كما تعمل على تبسيط الدروس وتلخيصها، وتبيّن أهم الأفكار الأساسية التي تساعد الطفل على التلقين وفق المنهاج المقرر في المادة العلمية.

وهنا تبرز العلاقة الجوهرية بين الصورة التشكيلية وتنمية اللغة لدى التلميذ في المرحلة الابتدائية، والتي تتمثل في أن الطفل في هذه المرحلة من عمره يميل إلى التعامل مع الصور أكثر من تعامله مع النصوص، أو الكلمات، "والمعلّم عن طريق الحوار يقود المتعلّمين حتما إلى الاستدلال باعتباره شخص لا يقبل الأحكام المسبقة ولا الأفكار الاعتباطية، ولا يخضع للتهديد والمساومة ولا للأسلوب العاطفي في التعامل مع المعرفة" (عبد القادر لورسي، 2016)، وبالتالي فقدرته على تعليم الأطفال من خلال الصورة تكون أكثر بكثير من تعليمه من خلال الكلمات، فالصور تشكل له رصيد معرفي وثقافي يناسب سنه بما يسمح له بفهم مواضيع مختلفة من برنامج التعليمي.

ينجذب الطفل في المرحلة الابتدائية إلى كل ما هو يحتوي على الرسومات والألوان والأشكال التي تجذب اهتمامه بتفاصيلها وتتولد له الرغبة في البحث عن معانيها، والتي يراها جانب من المتعة في حياته التعلُّمية.

3 - دلالات الصورة التشكيلية في الكتاب المدرسي:

إن قراءة الصورة المتواجدة بالكتاب المدرسي وفهم رموزها ودلالاتها هي عملية استكشافية يقوم بها التلميذ للتعرف على محتوياتها وحسن استخدامها للوصول إلى الغاية التي وجدت من أجلها هذه الصورة، أي أن يعمل التلميذ على تفكيك وقراءة لغة الصورة على أن يحسن فهم دلالتها مثلما يحسن قراءة الكلمة.

لا شك أن الطفل اليوم محاط بالكثير من الصور والرسومات التي يراها يوميا وبشكل كبير، لذلك فتعلمه لقراءة محتوياتها وفهم رموزها هو من الضروريات الأساسية لاكتساب المعارف والحصول على المعلومات ونقلها بالشكل السليم. ولضمان قراءة سليمة وصحيحة للتلميذ حول أي صورة تشكيلية يجب التمييز بين المستويات الثلاث لقراءة الصورة وهي:

1-3 المستوى الأوّل: المستوى التعريفي للصورة التشكيلية:

وفيه يعتمد التلميذ على الملاحظة السطحية للصورة، بحيث يحاول اكتشاف ما تحتويه الصورة من أشكال أو رسومات، وذلك بتحديد ماهية الأشياء، ويسمي كل عنصر بمسمياته، مثلا الصورة تحتوي على: إنسان، حيوان، لعبة،...الخ، أي أن يتعرف على الشيء ويسميه كما هو موجود في الصورة، وتشكل هذه القراءة المرحلة الأولى من استيعاب التلميذ لما تحتويه الصورة.

2-3 المستوى الثاني: المستوى الوصفي للصورة التشكيلية:

في هذه المرحلة يمكن للتلميذ وصف الأشكال التي يراها في الصورة والتدقيق في مختلف التفاصيل المتواجدة بها، بحيث يعمل على كشف تفاصيلها، والتمييز بين مختلف الأشكال والرسومات في الصورة، فيقوم بتصنيفها وفرزها وتحديد أصلها وشكلها مثال: بنت صغيرة، دراجة حمراء..، وهنا يبدأ بربط العناصر المشكّلة للصورة بشكل دقيق وواضح، بحيث يقوم بوصفها وصفا دقيقا دون إهمال أي عنصر أو شكل في الصورة.

3-3 المستوى الثالث: المستوى التفسيري للصورة التشكيلية:

عندما يصل الطفل أو التلميذ لهذه المرحلة من التحليل يصبح قادر على تفسير الأحداث المتواجدة بالصورة ويضعها في قالبها الصحيح، فيقوم بربط الأشكال أو العناصر المتواجدة بالصورة كلٌ حسب وظيفتها التعليمية ويقدم تحليلا دقيقا للوقائع أو المجريات التي تحتويها هذه الصورة، وهذا المستوى هو من أعلى مستويات استيعاب التلميذ للصورة التشكيلية الموجودة بكتابه المدرسي.

ومن خلال هذه المراحل أو المستويات الثلاث يكون التلميذ قادر على إعطاء التحليل الدقيق والتفسير الكامل لأي صورة قد يشاهدها، حتى أنه يستطيع إعطاء استنتاجات للحقائق والوقائع التي ترمز إليها الصورة.

لذلك فإن تلقين التلميذ طرق وأساليب تحليل الصورة التشكيلية المتواجدة بالكتاب المدرسي تمكنه من الفهم الأكثر للمادة العلمية المقدمة له، وقدرته على الوصول للمعلومة من خلال استكشاف العناصر المتواجدة بالصورة.

II. خاتمة:

يعتبر التعليم من أقوى الوسائل لنشر القيم والتعليم الدينية والأخلاق الأسرية، والمعبّرة عن مختلف الأنشطة والأوضاع، ولا يمكن أن نتصور نهوضا بالمجتمع وفئاته دون تعليمه في المرحلة الابتدائية، إن للصورة التعليمية أهمية كبرى في تنمية عنصر التواصل اللغوي للغة العربية، فهي من أهم الوسائل الاتصالية التي يمكن من خلالها تبادل الأفكار والمعلومات وإثراء الرصيد اللغوي، فبها يستطيع الإنسان ترجمة أفكاره ومختلف إنجازاته.

وتنمية التواصل اللغوي للغة العربية يبدأ بتنمية اللغة لدى الطفل في المرحلة الابتدائية، وذلك باستخدام الصورة كأسلوب لتنمية الرصيد اللغوي لديه. وعليه تأتي النتائج المتوصّل إليها كالتالي:

- تؤدي الصورة في الكتاب المدرسي للمرحلة الابتدائية وظيفة مهمة في إيصال الأفكار والآراء ومختلف الثقافات التي يجهلها المتعلّم مغطاةً بالجاذبية والجمال.

- اخترقت الصورة التعليمية ذهن المتعلّم من حيث اللون، الشكل، الحجم، فما يحلم برؤيته في الواقع المعيش، يستطيع رؤيته في هذه الصور التشكيلية، وهي كفن تؤدي رسالة جمالية وفنية تحمل أحاسيس وعواطف في شكل لوحة فنية تبقى في ذهن المتعلّم.
- يلعب المعلّم هنا دوره الرئيسي في شرح الصورة التشكيلية مستعملا طرائق عديدة في التدريس وتقديم محتوى الصورة، وهنا يبدأ المتعلّم بربط ما رآه أمام عينيه بما يقوله ويشرحه المعلم، لتتوضّح له معنى الصورة المشكّل في ذهنه.
- تشكّل الصورة المنبع الذي يستند إليه المتعلّم في تعبيره عن المقصود منها، وتوسيع لغته وأفكاره، لما تحمله من دلالات غير محدودة يصفها بكل حرية، وكل ما يحمله النص من معاني، تختصره الصورة معنى ومضمونا.

لإنجاح هذه العمليّة التواصلية يجب على المعلّم الالتزام ببعض القواعد أو الأساليب المنهجية في التلقين، وإعطاء التوجيهات للتلميذ في استعمال الصورة بطريقة صحيحة للوصول إلى المعلومة الصحيحة، ويمكن تلخيص هذه التوصيات في النقاط التالية:

- إعطاء وقت وفرصة للتلميذ للتمعن في الصورة بكل حرية حتى يتمكن من تحديد عناصر الصورة وفهمها.
- عدم ذكر وتبيان المعلم لأجزاء الرسم ولا يسعى للكشف عن محتوى الصورة، وترك المجال للتلميذ في ذكرها واكتفاء المعلم بالتوجيه والتصحيح فقط.
- تقديم إيحاءات للتلميذ وتوجيهه للتركيز أكثر على ربط موضوع الصورة بما يتناسب وموضع الدرس، أي جعل التلميذ يستخلص العلاقة المتواجدة بين الصورة المتواجدة على كتابه المدرسي والدرس المبرمج في الحصة.
- منح التلميذ فرصة تفسير وتحليل عناصر الصورة بنفسه وإبداء رأيه حولها بكل حرية، واستخلاص أهم النتائج منها.
- يقدّم المعلّم أسئلة للمتعلم بما يساعدهم على القراءة الصحيحة والسليمة للرسوم أو الصورة المتواجدة أمام النص بكتابه المدرسي.
- محاولة المعلم ربط الصورة بالواقع وشرحها للتلميذ متفاديا الهوّة التي قد تبعده عن محتوى النص، أو عما هو حقيقي أو واقعي.
- لا يمكن للمتعلّم أن يكتفي بالرؤية فقط، بل يجب عليه استخراج واستنطاق ما يراه، وإلا فإن الهدف التعليمي لن يتحقّق ما دام التعبير عنها غائبا باختيار الكلمات المناسبة والإفصاح عن مكبوتات الصورة التعليمية ودلالاتها المتعدّدة.
- وحتى للنص دور كبير في شرحها، فهو بدوره صورة لغوية بصرية. رؤية الطفل في المراحل الأولى من تعليمه كل شيء عبارة عن أشكال حتى الحروف.
- فمن أهم مبادئ تحليل الصورة في العملية التعليمية هو التأكيد على تناغم وحدة الشكل في الصورة وإبراز العنصر الرئيسي الموجود في الصورة، لتوفّر نوعا متكاملا من الرسالة المتّصلة بالموقف التعليمي.

الإحالات والمراجع:

1. أمبرتو إيكو، سيميائيات الأنساق البصرية، تر: محمد التهامي العماري ومحمد أودادا، مراجعة وتقديم: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط2، سوريا: 2013، ص23، 24.
2. جمال القاسم وآخرون، مبادئ علم النفس، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، الأردن: 1421ه-2001م، ص100.
3. جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، مؤسسة المثقف العربي، ط1، سيدني: 2015، ص69.
4. ردينة عثمان يوسف، حذام عثمان يوسف، طرائق التدريس منهج أسلوب وسيلة، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، الأردن: 2005، ص170.
5. رشدي أحمد طعيمة، المهارات اللغوية مستويات تدريسها وصعوباتها، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط 1، القاهرة: 1425ه-2004م، ص174.
6. صلاح فضل، قراءة الثورة وصور القراءة، دار الشروق، ط1، مصر: 1418ه-1997م، ص07.
7. عبد القادر لورسي، المرجع في التعليم الزاد المفيد والسند الأنيس في علم التدريس، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر: 2016، ص283.
8. عبد المجيد عيساني، تعليمية اللغة العربية والمنظور الحديث، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر2020، ص48، 49.
9. عبد المحسن بن عبد العزيز أبا نمي، الوسائل التعليمية مفهومها وأسس استخدامها ومكانتها في العملية التعليمية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، المملكة العربية السعودية:1414ه-1993م، ص90.
10. عبيدة صبطي، نجيب بخوش، الدلالة والمعنى في الصورة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر: 1430ه-2009م، ص72، 73.
11. علي سامي الحلاق، المرجع في تدريس مهارات اللغة العربية وعلومها، المؤسسة الحديثة للكتاب، الأردن2010، ص72.
12. عمار إبراهيم الياسري، فضاءات الصورة في الخطاب السينماتوغرافي (دراسات نقدية في التلفزيون والسينما، دار الأيام للنشر والتوزيع، ط1، عمان: 2017، ص61.
13. فؤاد حسن أبو الهيجاء، أساليب وطرق تدريس اللغة العربية وإعداد دروسها اليومية، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط 3، الأردن: 1428ه-2007م، ص52.
14. قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر: 2004، ص190.
15. كلود عبيد، جمالية الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، لبنان: 1431ه-2010م، ص92.
16. محمد الصالح خرفي، أدب الأطفال في الجزائر، دار ميم للنشر، الجزائر2014، ص33.
17. محمد شارف سرير، نور الدين خالدي، الفعل التعليمي التعلّمي، الجزائر1998، ص83، 84.
18. محمد مصابيح، تعليمية اللغة العربية وفق المقاربات النشطة من الأهداف إلى الكفاءات، طكسيج للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر: 2014، ص279.
19. محمد وطّاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلّم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1988، ص57.
20. مريم الخالدي، نظام التربية والتعليم، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، الأردن: 1429ه-2008م، ص149.
21. نهلة عيسى، أساليب تحليل الصورة، تد: محمد الرفاعي، بوران مريدن، ومحمد العمر، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، سوريا: 2020، ص17.